مَـــا أُبَـــالِـــي إِذَا اتَّـــقَـــتْـــكَ الـــرَّزَايَـــا
مَـــنْ دَهَـــتْـــهُ حُـــبُـــولُـــهَـــا وَٱلْـــخُـــبُـــولُ[١]

لا خيل عندك تهديها..

قدم أبو شجاع فاتك المعروف بالمجنون من الفيوم إلى مصر فوصل أبا الطيب وحمل إليه هدية قيمتها ألف دينار فقال يمدحه:

[البسيط]

لا خَـيْـلَ عِـنْـدَكَ تُـهْـدِيـهَـا وَلَا مـالُ
فَـلْـيُـسْـعِـدِ الـنُّـطْـقُ إِنْ لَـمْ تُـسْـعِـدِ الْـحَـالُ[٢]
وَاجْـزِ الأَمِـيـرَ الَّـذِي نُـعْـمَـاهُ فَـاجِـئَـةٌ
بِـغَـيْـرِ قَـوْلٍ وَنُـعْـمَـى الـنـاسِ أَقْـوَالُ[٣]
فَـرُبَّـمَـا جَـزَتِ الإِحْـسَـانَ مُـولِـيَـهُ
خَـرِيـدَةٌ مِـنْ عَـذَارَى ٱلْـحَـيِّ مِـكْـسَـالُ[٤]

---

(١) اتَّقى: تجنّب. الرزايا، الواحدة رزية: المصائب والويلات. الحبول، الواحد حِبل: الواهي. الخبول، الواحد خبل: فساد العقل. يُقرّ الشاعر أنه لن يهتم لأحد سوى للأمير ويتمنّى له ألّا يُصيبه مكروه وأن تجنّبه المصائب، فهو أمله في هذه الحياة لأنه مصدر خير عميم.

(٢) ورد البيت في: معاهد التنصيص، للعباسي ٢: ٢٥٤. الإسعاد: المساعدة. يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بمطلع وجداني وحوار ذاتي، إنه لا يملك مالاً ولا خيلاً يُقدّمها إلى من أسدى إليه عملاً جليلاً، والبديل قصيدة عنوان شكر وحبّ وتقدير.

(٣) النعمى: مدّ يد العون والصنيعة. إنه جزاء معنوي على ما تقدّم من إحسان ومدّ يد عون لامرئ في ديار غربة، فكان على الشاعر أن يُعبّر عن جميل شكره بقصيدة لمن لم يطلب بديلاً، ولم يستعن به لدفع مكروه؛ ومعظم الناس مآثرهم أقوال تخلو بلا أفعال، وكأنه يغمز من قناة كافور، إنه كثير الوعد مخلاف.

(٤) يروى «جزى» بدلاً من «جزت» جازى: كافأ، أولى: أعطى. الخريدة: الحسناء الحييّة. المكسال، من النسوة: الفاترة في حركتها. يُردف الشاعر متمًّا ما بدأ به أن مكافأة المحسن على إحسانه قصيدة بمثابة شابة حسناء حييّة فاترة العينين يُغالبها النعاس، فهذا أقلّ ما يمكن الشاعر أن يُقدّمه لممدوحه في حالة كهذه.

وَإِنْ تَكُنْ مُحْكَمَاتُ الشُّكْلِ تَمْنَعُنِي
ظُهُورَ جَرْيٍ فَلِي فِيهِنَّ تَصْهَالُ[١]
وَمَا شَكَرْتُ لأَنَّ المَالَ فَرَّحَنِي
سِيَّانِ عِنْدِيَ إِكْثَارٌ وَإِقْلَالُ[٢]
لٰكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحاً أَنْ يُجَادَ لَنَا،
وَأَنَّنَا بِقَضَاءِ ٱلْحَقِّ بُخَّالُ[٣]
فَكُنْتُ مَنْبِتَ رَوْضِ الْحَزْنِ بَاكَرَهُ
غَيْثٌ بَغَيْرِ سِبَاخِ ٱلأَرْضِ هَطَّالُ[٤]
غَيْثٌ يُبَيِّنُ لِلنُّظَّارِ مَوْقِعُهُ
أَنَّ الْغُيُوثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهَّالُ[٥]

(١) الشُّكل، الواحد شكال: الحبل تُشدّ به قوائم الدابة. الظهور، الواحد ظهر. التصهال: تصويت الحصان أي الصهيل. يتعامل الشاعر مع ممدوحه بحذر، فثمّة أمر يحول دون المكاشفة والمصارحة، إنه كافور من يمنع الشاعر عن مدح أبي شجاع لخلافهما، لذا كان عليه أن يلجأ إلى ذلك بالحيلة، فإن لم يكن بمقدوره فعلى الأقل عليه أن يسمع صوته.

(٢) سيان: سواء. الإكثار: الغنى. الإقلال: الفقر، يُقرّ الشاعر أن مدحه لأبي شجاع ليس باعثه المال؛ فالمال لا قيمة له، إذا كان المرء يعيش بما يُشبه السجن، فخطواته تُعدّ عليه حتى أنفاسه، لذا فالغنى والفقر في حالة كهذه لا قيمة لهما، فهما سيّان في نظر الشاعر.

(٣) بُخّال، الواحد بخيل. يُعلّل الشاعر سبب إقدامه على مدح أبي شجاع، أنه من سوء العرفان ألّا يردّ المرء حسن الأفعال بشكر، هو أقلّ ما يستطيع المرء تقديمه، وإلّا لاعتبر ذلك بُخلاً والبخل مذموم، وبخاصة إذا كان ردًّا على إحسان، فيُعدّ ذلك من لؤم الطباع.

(٤) الحزن: أرض المنحدرات الصعبة. السباخ من الأراضي: التي لا تصلح للزراعة المغمورة بالمياه المالحة. هطّال: غزيرة الأمطار. لقد استجاب الشاعر فلبّى نداء الكرم، فكان بمثابة أرض صعبة المرتقى أصابها وابل من مطر غزير، فأنبتت زهراً وعشباً أخضر، ولم تكن أرض سباخ رغم ما فيها من ماء، فماؤها آسن أماتت ملوحته فيه الحياة.

(٥) إنه غيث عميم الفائدة، يبدو من بعيد، فيه نضرة وجمال، قد أصاب أرض خير، =

لَا يُـدْرِكُ الـمَـجْـدَ إلَّا سَـيِّـدٌ فَـطِـنٌ
لِـمَـا يَـشُـقُّ عَـلَـى الـسَّـادَاتِ فَـعَّـالُ[١]

لَا وَارِثٌ جَـهِـلَـتْ يُـمْـنَـاهُ مَـا وَهَـبَـتْ
وَلَا كَـسُـوبٌ بِـغَـيْـرِ الـسَّـيْـفِ سَـأْآلُ[٢]

قَـالَ الـزَّمَـانُ لَـهُ قَـوْلاً فَـأَفْـهَـمَـهُ
إنَّ الـزَّمَـانَ عَـلَـى الإمْـسَـاكِ عَـذَّالُ[٣]

تَـدْرِي الْـقَـنَـاةُ إذَا ٱهْـتَـزَّتْ بِـرَاحَـتِـهِ
أَنَّ الـشَّـقِـيَّ بِـهَـا خَـيْـلٌ وَأَبْـطَـالُ[٤]

كَـفَـاتِـكٍ وَدُخـولُ الْـكَـافِ مَـنْـقَـصَـةٌ
كَـالـشَّـمْـسِ قُـلْـتُ وَمَـا لِـلـشَّـمْـسِ أَمْـثَـالُ[٥]

= والناظر يرى ذلك جلياً في ردّ الشاعر على الإحسان بأحسن منه إن قدر على ذلك، والشاعر يغمز من قناة كافور، فمن كان كريماً إلى هذا الحدّ فالواجب إكرامه وتشجيعه على فعل الخيرات بتوليه مراكز تُساعده على الإنفاق والجود.

(١) يشقّ: يصعب القيام به. الفطن: الذكي، الأريب. الذكاء والأريحيّة من المؤهلات التي تُساعد المرء على تبوّء أعلى المراكز، فالمجد ينتظر أمثال هؤلاء ليتربّعوا على عرشه، وهذا الموهوب سبّاق لغيره من السادات، وهم، مع الأسف كثر، ولكنهم يفتقدون القدرة إلى عظيم الفعال كشأن أبي شجاع.

(٢) سأآل: كثير الطلب. يمدح الشاعر والد أبي شجاع، فقد كان كريماً لم يترك لولده ما يرثه، ولقد حصّل أبو شجاع ما حصّله بجهده، ولطالما كافح وقاتل بسيفه حتى حصل على غناه، ولكثرة ما أنفق لم تدر يمناه ما أنفق، ولم يكن كسبه بكثرة طلبه، فلم يكن سأآلاً.

(٣) عذال: كثير اللوم. يرى الشاعر أن عبر الزمان لا تُعدّ ولا تُحصى، فمنها يستقي البشر عاداتهم وتقاليدهم، لقد رأى أبو شجاع أن المحامد والذكر لا يُبقيها إلّا الجود، فتاجر بهذه التجارة، ومنطق الزمان أنه يُزري بالبخلاء على أنفسهم وعلى غيرهم بخلهم ومكالبهم على جمع المال دون إنفاقه.

(٤) القناة: الرمح. يمدح الشاعر قوة أبي شجاع، لقد اعتاد رمحه إذا هزّه هزّة الغضب لا بدّ أن يهلك ويشقى به من الفرسان كثيرون، فيفقد الفرس فارسه.

(٥) يمدح الشاعر فاتكاً بأنه لا شبيه له تماماً كالشمس لا يُشبهها مخلوق، وشهرتها بأنها =

أَلْقَائِدِ الأُسْدَ غَذَّتْهَا بَرَاثِنُهُ
بِمِثْلِهَا مِنْ عِدَاهُ وَهْيَ أَشْبَالُ(١)
أَلْقَاتِلِ السَّيْفَ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ
وَلِلسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ(٢)
تُغِيرُ عَنْهُ عَلَى الْغَارَاتِ هَيْبَتُهُ
وَمَالُهُ بِأَقَاصِي الأَرْضِ أَهْمَالُ(٣)
لَهُ مِنَ الْوَحْشِ مَا اخْتَارَتْ أَسِنَّتُهُ
عَيْرٌ وَهَيْقٌ وَخَنْسَاءٌ وَذَيَّالُ(٤)
تُمْسِي الظُّيُوفُ مُشَهَّاةً بِعَقْوَتِهِ
كَأَنَّ أَوْقَاتَهَا فِي الطِّيبِ آصَالُ(٥)

= معروفة لسائر البشر بالضوء والدفء، وكذلك أبو شجاع مشهور بالجود والشجاعة والنبل والسيادة.

(١) البراثن: المخالب. الأشبال، الواحد شبل: أولاد الأسد. يمدح الشاعر أبا شجاع بأنه أسد شجاع ربّى أشبالاً، بفضله نشأوا تحت رعايته وبسلاحه تغذّوا، فقد كان يقضي على أعدائه ويأتي أشباله بما يغنم منهم حتى كانوا أسوداً يقدرون على تحصيل أرزاقهم بنفس الطريقة.

(٢) ومن عظم أبي شجاع وقوّته العظيمة أنه يقضي على عدوّه بسيفه، ولعظم ضربته ينتج عنها قتيلان: العدوّ والسيف، فقد انكسر في جسد العدوّ، فكان مقتولاً، لذا للسيوف أعمار وآجال تماماً كما للبشر.

(٣) لقد بعُد صيت أبي شجاع، وأصبحت شجاعته على كلّ لسان فهابه العدوّ قبل الصديق، فإذا بهيبته تأتي بغنائم المغيرين يضعونها بين يديه متنازلين له عنها بحبّ واسترضاءً له، فضلاً عن أنه يترك ما تحت يديه ترعى حيث شاءت في كلّ وقت فلا يقربها أحد بسوء خشية غضبه.

(٤) العير: الحمار الوحشي. الهيق: الظليم، ذكر النعام. الخنساء: البقرة الوحشية، الذيّال: الثور الوحشي. يُعطي أبو شجاع لكلّ وقت من نفسه: فوقت للقتال حيث الجدّ، فيظهر على حقيقته، ووقت للهو، يمضيه بمطاردة الوحشي من الحيوانات، فيختار ما يحلو له من قطعانها، وسنانه لا يُخطئ ما يُريد.

(٥) مشهّاة: تحصل على ما ترغب فيه. العقوة: الساحة. الآصال: الوقت عند الغروب. =

لَـوِ اشْـتَـهَـتْ لَـحْـمَ قَـارِيـهَـا لَـبَـادَرَهَـا
خَـرَادِلٌ مِـنْـهُ فِـي الـشِّـيـزَى وَأَوْصَـالُ[١]
لَا يَـعْـرِفُ الـرُّزْءَ فِـي مَـالٍ وَلَا وَلَـدٍ
إِلَّا إِذَا حَـفَـزَ الْأَضْـيَـافَ تَـرْحَـالُ[٢]
يُرْوِي صَدَى الْأَرْضِ مِنْ فَضْلَاتِ مَا شَرِبُوا
مَحْضُ اللِّقَاحِ وَصَافِي اللَّوْنِ سَلْسَالُ[٣]
تَـقْـرِي صَـوَارِمُـهُ الـسَّـاعَـاتِ عَـبْـطَ دَمٍ
كَـأَنَّـمَـا الـسَّـاعُ نُـزَّالٌ وَقُـفَّـالُ[٤]

= يمتاز أبو شجاع بحسن الضيافة، يقوم على خدمة أضيافه بنفسه، فيبشّ بوجوههم ويُشرف على خدمتهم، فيقدّم لهم ما يشتهون من المآكل على أنواعها، فإذا بإحساس القوم بأنهم ينعمون بخير الأوقات عندهم بآصائل نهاراتهم.

(١) القاري: المضيف. الخرادل: القطع. الشيزى: القصاع المصنوعة من خشب أسود. الأوصال: المفاصل. ولنتصوّر مدى الجود لدى أبي شجاع، فلو أن أحد الضيوف تجرّأ وطلب لحمه لسارع إلى وضعه قطعاً ومفاصل في قصاع كبيرة صنعت من خشب أسود.

(٢) الرزء: المصيبة والفاجعة. حفزه: دفعه وحثّه. يُردف الشاعر منوّهاً بعظم كرم أبي شجاع، فالمصيبة تتمثّل له بارتحال ضيوفه من دياره، وهذا يُؤلمه أيّما ألم كأنه فقد ماله أو ولده، فتستولي عليه الكآبة ويرحل عنه الأنس.

(٣) يروى: يشبع غلّة العطشان. الصدى: العطش. المحض من كلّ شيء: خالصه. اللقاح، الواحدة لقحة: الناقة الحلوب. يقصد بصافي اللون: الخمرة. السلسال: الذي يستسيغه الحلق فيجري فيه سهلاً. يُتابع الشاعر الحديث عن كرم أبي شجاع، فهو يقدّم لضيوفه الخمرة واللبن الخالص، وحالما يرحل الأضياف يُسارع أبو شجاع إلى سكب ما بقي من كؤوسهم على الأرض فترتوي وتنتشي بما يصيبها من كرمه تماماً كما يفعل مع البشر يفعل مع الأرض.

(٤) تقري: تضيف. الصوارم، الواحد صارم: السيوف البتّارة. العبط: الطري من اللحم. الساع، الواحدة ساعة. النزال: الضيف النازل. القفال: الضيف الراحل. يُتابع الشاعر حديثه عن فن الضيافة التي يقدّمها أبو شجاع لضيوفه، سواء منهم النازل أو الراحل؛ إنه يمضي الساعات يقطّع لهم اللحم شرائح، وهو دائم الذبح الطازج الجديد، فلا يقدّم لهم ما بقي من القديم منه.

تَـجْـرِي الـنُّـفُـوسُ حَـوَالَـيْـهِ مُـخَـلَّـطَـةً
مِـنْـهَـا عُـدَاةٌ وَأَغْـنَـامٌ وَآبَـالُ[١]
لَا يَـحْـرِمُ الْـبُـعْـدُ أَهْـلَ الْـبُـعْـدِ نَـائِـلَـهُ
وَغَـيْـرُ عَـاجِـزَةٍ عَـنْـهُ الأُطَـيْـفَـالُ[٢]
أَمْـضَـى الـفَـرِيـقَـيْـنِ فـي أَقْـرَانِـهِ ظُـبَـةً
وَالْـبِـيـضُ هَـادِيَـةٌ وَالـسُّـمْـرُ ضُـلَّالُ[٣]
يُـرِيـكَ مَـخْـبَـرُهُ أَضْـعَـافَ مَـنْـظَـرِهِ
بَـيْـنَ الـرِّجَـالِ وَفِـيـهَـا الْـمَـاءُ وَالآلُ[٤]
وَقَـدْ يُـلَـقِّـبُـهُ الْـمَـجْـنُـونَ حَـاسِـدُهُ
إِذَا اخْـتَـلَـطْـنَ وَبَـعْـضُ الْـعَـقْـلِ عُـقَّـالُ[٥]

---

(١) عداة: أعداء. آبال: جمع إبل، إنها العادة المتأصّلة في أبي شجاع، ففي نفس الوقت يُطيح سيفه بأعدائه وأغنامه وإبله، فيوفي كل مخلوق حقّه من الرعاية أو الانتقام، فإذا بالدماء قد اختلطت فلا يستطيع تمييز دم إنساني عن دماء المواشي.

(٢) الأطيفال، الواحد طُفيل تصغير طفل. يُنوّه الشاعر بجود أبي شجاع الذي يشمل كلّ الناس، فالبعداء عنه مكانياً يشملهم حتى صغار الأطفال لا ينسى إعانتهم، وهذا يجعله محبوباً من سائر الناس.

(٣) القرن، بكسر القاف: الكفوء. الظبة: حدّ السيف. البيض: السيوف. هادية: مهتدية. السمر: الرماح. يتحدّث الشاعر عن أبي شجاع، إنه أقدر من سواه في القتال؛ يستعمل سيفه فيكون أقرانه من ضحاياه، فعزمه قوي وظبة سيفه قاطعة وقد اعتادت على إصابة أهدافها، بينما الرماح قد تخطئ أهدافها لبعد ما بينها وبين ضحاياها.

(٤) الآل: السراب. يتحدّث الشاعر عن تواضع أبي شجاع، فمن تواضعه بساطة في مظهره الخارجي، في اللباس والتعامل مع سائر الخلق، ولكن أعماله تنبئ عن حقيقة معدنه وعلو شأنه بين سائر الرجال، والرجال نوعان: منهم من هو كالماء في مدلوله وصفاته التي تعني الحياة بمعناها الإنساني الواسع، ومنهم من هو كالسراب صورة لا مدلول له في عالم الرجولة.

(٥) يقصد بـ«اختلطن»: السيوف والرماح. الجنون إفراط في اللاتعقل، ولا يُحمد =

يَـرْمِـي بِـهَـا الْـجَـيْـشَ لَا بُـدَّ لَـهُ وَلَـهَـا
مِـنْ شَـقِّـهِ وَلَـوَ انَّ الْـجَـيْـشَ أَجْـبَـالُ[١]
إِذَا الْـعِـدَى نَـشِـبَـتْ فِـيـهِـمْ مَـخَـالِـبُـهُ
لَـمْ يَـجْـتَـمِـعْ لَـهُـمُ حِـلْـمٌ وَرِئْـبَـالِ[٢]
يَـرُوعُـهُـمْ مِـنْـهُ دَهْـرٌ صَـرْفُـهُ أَبَـداً
مُـجَـاهِـرٌ وَصُـرُوفُ الـدَّهْـرِ تَـغْـتَـالُ[٣]
أَنَـالَـهُ الـشَّـرَفَ الْأَعْـلَـى تَـقَـدُّمُـهُ
فَـمَـا الَّـذِي بِـتَـوَقِّـي مَـا أَتَـى نَـالُـوا[٤]

= صاحبه، بل يُسخر منه، ولكن الأمر مع أبي شجاع مختلف كلياً، إنه بطل شجاع واثق بشجاعته وسيفه، والتعقّل في القتال محمود إذا كان الأمر يتطلّب رسم الخطط الحربية، أما أثناء القتال عندما تلتقي السيوف بالسيوف والرماح بالرماح، فلا بدّ للبطل من مغامرة وحتى من تهوّر في بعض الحالات يُؤدي إلى النصر، فنعم جنون كهذا.

(١) يُردف الشاعر حديثه عن ظاهرة الجنون لدى أبي شجاع، إنه يرمي بجنونه هذا الجيش العدوّ بقوّته وقدرته القتالية، فيُحسن استعمال سيفه في شقّ صفوف الأعداء مهما عظم عددهم وتواترت الأبطال عليه.

(٢) نشبت: تشبّثت. المخالب: الأظفار. الحلم: الروية والتعقّل. الرئبال: من أسماء الأسد. يُردف الشاعر حديثه عن أبي شجاع، إنه يتخلّى كليًّا عن التعقّل والحلم في ساحات القتال، فإذا اشتدت المعركة ونشب القتال كان كالأسد ينشب مخالبه في أعدائه، فلا الرحمة تعرف باباً إلى قلبه، ولا العقل يردعه بل العكس فالعقل يأمره بالقضاء على عدوّه الذي يتربّص به ويتوقّع منه هفوة تُعينه على القضاء عليه.

(٣) يروعهم: يرعبهم. صرفه: تبدّل أحواله. الاغتيال: القتل غدراً. يمدح الشاعر شجاعة أبي شجاع؛ إنه لا يعرف الغدر والموارية، ولشجاعته فإنه يُجاهر بعداوته لمن يُعادي، وصروف الدهر تستعين بممدوحه لتمارس لعبتها فتغتال الناس على حين غِرّة، على خلاف أبي شجاع لا يُمارس هذه اللعبة بقذارتها.

(٤) يُقارن الشاعر بين ممدوحه وأعدائه، وهو لا يزال يُدافع عنه، فلقد أعانه تهوّره هذا في قتاله على بلوغ أعلى قمم المجد، بينما أعداؤه لا يزالون يقبعون في قاع الحياة لا يتزحزحون عن جبنهم وحقارتهم ولا همّ لهم سوى التقوّل على ممدوحه واختراع الأكاذيب والتشنيع عليه؛ إنها عادة السفلة من الرعاع.

إِذَا الْـمُـلُـوكُ تَـحَـلَّـتْ كَـانَ حِـلْـيَـتَـهُ
مُـهَـنَّـدٌ وَأَضَـمُّ الْـكَـعْـبِ عَـسَّـالُ[١]
أَبُـو شُـجَـاعٍ أَبُـو الـشُّـجْـعَـانِ قَـاطِـبَـةً
هَـوْلٌ نَـمَـتْـهُ مِـنَ الْـهَـيْـجَـاءِ أَهْـوَالُ[٢]
تَـمَـلَّـكَ الْـحَـمْـدَ حَـتَّـى مَـا لِـمُـفْـتَـخِـرٍ
فِـي الْـحَـمْـدِ حَـاءٌ وَلَا مِـيـمٌ وَلَا دَالُ[٣]
عَـلَـيْـهِ مِـنْـهُ سَـرَابِـيـلٌ مُـضَـاعَـفَـةٌ
وَقَـدْ كَـفَـاهُ مِـنَ الْـمَـاذِيِّ سِـرْبَـالُ[٤]
وَكَـيْـفَ أَسْـتُـرُ مَـا أَوْلَـيْـتَ مِـنْ حَـسَـنٍ
وَقَـدْ غَـمَـرْتَ نَـوَالاً أَيُّـهَـا الـنَّـالُ[٥]

(١) المهند: السيف المصنوع في الهند. أصمّ الكعب: الرمح. الأصم: الصلب. العسّال: المهتزّ. يُندّد الشاعر بالملوك، فإنهم يتخذون التيجان دلالة على مراكز لا يستحقّونها، بينما قد استطاع أبو شجاع أن يكون ملكاً غير متوّج بتاج، فقد جعلته شجاعته يتحلّى بسيف هندي ورمح صلب يهتزّ غضباً في حال غضب صاحبه؛ إنها القوّة في مجتمع لا يُقرّ إلّا للأقوياء بالسيادة والرئاسة.

(٢) قاطبة: جميعاً. الهول: الرعب. نمته: نسبته. الهيجاء: الحرب. النسبة إلى الأفعال قد تكون في بعض الأحيان أفضل من الانتساب إلى الأجداد إذا همّة الإنسان قعدت به عن السموّ والطموح، فأبو شجاع تمكن من يكون أبا الشجعان جميعاً لأنه أشجعهم وأبسلهم وأقواهم، ولقد نبت مع النبال والرماح والأهوال في ساحات القتال، فانتسب إليها وانتسبت إليه.

(٣) و (٤) لقد تملّك أبو شجاع الحمد كلّه بمدلولاته المادية والمعنوية، فلم يُبق لسواه مجالاً في الأخذ بفتات منه، فقد استأثر به دون سواه من ملوك وأمراء، وقد تزيّا بسرابيله، فكانت أثوابه مضاعفة، بينما قد اكتفى بدرع ليّنة واحدة يستعين بها في قتاله، رغم دوام مقارعته الأبطال، ولكنه تزيّا بسرابيل عديدة من المكارم أهلته ليمتلك أزمة الحمد.

(٥) أوليت: أعطيت. النوال: الإعطاء. النّال: الكريم جدًّا. يُنوّه الشاعر بكرم أبي شجاع، إنه لو حاول أن يستر ويكفر بما أولاه من إحسان فإنه لن يستطيع لكثرة ما أولاه من نعم حتى غمره منها غنًى، فإذا به يعوم فيها.

لَـطَّـفْـتَ رَأيَـكَ فـي بِـرِّي وَتَـكْـرِمَـتِـي
إِنَّ الْـكَـرِيـمَ عَـلَـى الْـعَـلْـيَـاءِ يَـحْـتَـالُ[١]
حَـتَّـى غَـدَوْتَ وَلِـلأَخْـبَـارِ تَـجْـوَالُ
وَلِـلْـكَـوَاكِـبِ فـي كَـفَّـيْـكَ آمَـالُ[٢]
وَقَـدْ أَطَـالَ ثَـنَـائِـي طُـولُ لَابِـسِـهِ
إِنّ الـثَّـنَـاءَ عَـلَـى الـتِّـنْـبَـالِ تِـنْـبَـالُ[٣]
إِنْ كُـنْـتَ تَـكْـبُـرُ أَنْ تَـخْـتَـالَ فـي بَـشَـرٍ
فَـإِنَّ قَـدْرَكَ فـي الْأَقْـدَارِ يَـخْـتَـالُ[٤]
كَـأَنَّ نَـفْـسَـكَ لَا تَـرْضَـاكَ صَـاحِـبَـهَـا
إِلَّا وَأَنْـتَ عَـلَـى الْـمِـفْـضَـالِ مِـفْـضَـالُ[٥]

---

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٣. يلمّح الشاعر إلى برّ أبي شجاع المتواصل يُرفده به بلطف دون إلحاح، والكريم لا تنقصه الحيلة وسعة أفقه لتحصيل ما يبغيه من علو الشأن ما يزيده شرفاً وتكرمة. ممَّا حمله على مدح أبي شجاع، فاستأذن كافوراً، فما كان باستطاعته لتوافر الحجج والأسباب التي تحول دون منع الشاعر.

(٢) يُنوّه الشاعر بعلوّ شأن أبي شجاع، فسعيه دؤوب حتى يبلغ أسمى أعالي المجد، وقد طبقت سيرته الآفاق بحسن فعاله في ضروب الخير المتنوّعة، فما من أحد إلّا ويدعو له ويُحسن الثناء عليه، والكواكب بدورها تأمل أن يُرفدها بنوافله وعطاياه.

(٣) التنبال: التكاسل والتقصير. يُنوّه الشاعر بفضل أبي شجاع عليه، فقد حمله على مدحه ما قدّمه له من مساعدات مالية ومعنوية، فإذا بشعره يسمو ويشرئب ويتطاول بقدر ما قدّم أبو شجاع من كرمه، فبقدر ما يكون الفعل جميلاً يكون الثناء عليه جميلاً، فذلك شأن الكرماء بالفعل والقول.

(٤) اختال: مشى مشية اعتزاز وعجب. يمدح الشاعر في أبي شجاع تواضعه؛ فلا يتكبّر على غيره ثقة بمقوّمات شخصيته؛ ولكن قيمته وقدره يختال ويزهو ويفخر بصاحبه على سواه، لأنه حقيقة، أعظم قدراً من سائر الملوك والأمراء الذين يشمخون بأنوفهم بلا سبب وجيه.

(٥) المفضال: كثير الفضل. يمدح الشاعر أبا شجاع؛ إنها نفس تهفو إلى المعالي دائماً؛ =

وَلَا تَـعُـدُّكَ صَـوَّانـاً لِـمُـهْـجَـتِـهَـا
إِلَّا وَأَنْـتَ لَـهَـا فـي الـرَّوْعِ بَـذَّالُ(١)
لَـوْلَا الْـمَـشَـقَّـةُ سَـادَ الـنَّـاسُ كُـلُّـهُـمُ
أَلْـجُـودُ يُـفْـقِـرُ وَالْإِقْـدَامُ قَـتَّـالُ(٢)
وَإِنَّـمَـا يَـبْـلُـغُ الْإِنْـسَـانُ طَـاقَـتَـهُ
مَـا كُـلُّ مَـاشِـيَـةٍ بِـالـرَّحْـلِ شِـمْـلَالُ(٣)
إِنَّـا لَـفِـي زَمَـنٍ تَـرْكُ الْـقَـبِـيـحِ بِـهِ
مِـنْ أَكْـثَـرِ الـنَّـاسِ إِحْـسَـانٌ وَإِجْـمَـالُ(٤)
ذِكْـرُ الْـفَـتَـى عُـمْـرُهُ الـثَّـانِـي وَحَـاجَـتُـهُ
مَـا قَـاتَـهُ وَفُـضُـولُ الْـعَـيْـشِ أَشْـغَـالُ(٥)

= فطموح الممدوح متأصل فيه تدفعه نفس لا تعرف الوسطية بل تتطلّب منه المزيد حتى يفوق من اشتهر بالفضل فإذا به يسبق أصحاب الفضل بأشواط بعيدة.

(١) المهجة: دم القلب. الروع: المخافة. بذال: كثير العطاء، ومن أسباب رفعة أبي شجاع رغبة نفسه الملحاحة في طلب المعالي تدعوه لخوض غمار الحروب لتحقق ذاتها في عالم البطولة فتقتحم الأهوال فتجتاز تلك التجربة بنجاح.

(٢) يُعقب الشاعر لولا المشقة وتعرّض المرء للأخطار لكان الناس جميعاً سادة، والفرق بين سائر البشر أن السيادة تتطلّب ضريبة غالية الثمن، فعلى المرء أن يجود بماله في وجوه الخير، وبنفسه في ميادين القتال، قد ينجح وقد يُقتل وفي كلا الحالين، فقد حقّق ما يصبو إليه من سؤدد.

(٣) الطاقة: القدرة. الشملال: الناقة السريعة. يلتمس الشاعر العذر لمن حاول تأكيد سيادته ولم يُفلح رغم تقديمه طاقته التي يقدر عليها، ومن هنا فقد أدرك أبو شجاع أعلى درجات الكمال في عالم السيادة، تماماً فليس كلّ ناقة مشت بالرحل شملالاً.

(٤) ورد البيتان الأخيران في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٣. ينعى الشاعر على سوء أحوال البشر، فمن باستطاعته الإساءة إلى الآخرين ولم يضرّهم، فقد أحسن عملاً، فالكثير منهم مجبول على فعل الشرّ.

(٥) يخلص الشاعر إلى حقيقة أن الذكر الحسن للبشر بعد موتهم حياة ثانية تتجدّد بذكرهم وذكر ما قدّموه لأخوانهم في حياتهم، والحقيقة أن البشر يكتفون بما يأكلونه من طعام =